ISSN: 2527-7251
e-ISSN: 2549-9262
Studia Quranika Jurnal Studi Quran

DOI: http://dx.doi.org/10.21111/studiquran.v8i1.9641

The method of Preponderance using Sunnah in Ibn kathir interpretation Study of verses of the juz' 30 of the Quran

منهج الترجيح بالسنة في تفسير ابن كثير: دراسة لنماذج من الجزء الثلاثين في القرآن الكريم

Maher Bin Ghazali*
Department of Quran and Sunnah,
International Islamic University Malaysia
Email: maherbinghazali@gmail.com

Abstract

This research investigates Ibn Kathir's interpretation of verses in the Juz' 30 of the Qur'an for the purpose of revealing the method of *Tarjih* (Preponderance) using the *Sunnah* in the Ibn Kathir's interpretation. The study tracks these verses that interpreted by Ibn Kathir and looks at his choices and *Tarjih* method of the interpretation. In order for the researcher to get acquainted with the method of Ibn Kathir in this matter, the study applies inductive method to examine the verses and collect related scientific studies and analytical method to analyze these verses and reveal the *Tarjih* methodology using the *Sunnah*. Thereby, it is apparent that the *Tarjih* method using *Sunnah* of Ibn Kathir counts on what was reported from the Prophet peace be upon him, the authentic *Sunnah* and the *hadits* even if there is a weak point in the requirements that needs to be cleared or strengthened such as *Shawahid* (Witnesses) and *Mutabaat* (Follow-ups) or the meaning of Quranic context.

Key words: Method, Preponderance, Sunnah, Ibn Kathir, Part, Thirty.

* Correspondence, Department of Quran and Sunnah, International Islamic University Malaysia, Jln Gombak, 53100 Kuala Lumpur, Wilayah Persekutuan Kuala Lumpur, Malaysia

Abstract

Tujuan dari penelitian ini adalah untuk mengungkap dan menggali tentang metodologi *Tarjih* dengan *Hadist* dalam Tafsir Ibnu Katsir dari pengkajian terhadap contoh-contoh dari Juz (bagian) 30. Dan hal ini dilakukan dengan mengikuti ayat-ayat yang ditafsirkan oleh Ibnu Katsir, kemudian juga melihat dari sudut pandang yang dipilih dan di-*tarjih* (dikuatkan) oleh Ibnu Katsir, tujuan dari ini juga agar peneliti mengetahui metodologi Ibnu Katsir dalam masalah ini dengan menggunakan metode membaca literasi-literasi dan rujukan-rujukannya untuk menyelidiki ayat-ayat Al-Quran, juga dengan mengumpulkan bahan-bahan ilmiyyah yang berhubungan dengan bidang ini, kemudian menggunakan metode pendekatan analisis terkait ayat-ayat sebelumnya, dan mengungkap tentang metode *Tarjih* yang berhubungan dengan *hadits* yang ada di dalamnya. Dimana hal ini menjadi penjelasan bahwa metode *Tarjih* dengan *hadits* oleh Ibnu Katsir berlandaskan dan berpatokan pada apa yang diriwayatkan oleh Rasulullah Shallallahualaihi wasallam, juga berlandaskan pada hadist yang shahih, kemudian dalam metode *Tarjih* dengan *hadits-hadits* ini meskipun di dalamnya terdapat kelemahan, maka akan dikuatkan dengan hal-hal lain seperti saksi-saksi dan apa yang mengikutinya, atau dikuatkan dengan diksi-diksi atau nash-nash dari Al-Quran.

Kata kunci: Metode, Preponderance, Sunnah, Ibnu Katsir, Bagian, Tiga Puluh.

الملخص

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن منهج الترجيح بالسنة في تفسير ابن كثير من خلال دراسة لنماذج من الجزء الثلاثين، وذلك عن طريق تتبع الآيات التي فسرها ابن كثير، ثم النظر إلى اختياراته وترجيحاته فيها، وحتى يتعرف الباحث على منهج ابن كثير في هذه المسألة استخدم المنهج الاستقرائي لاستقصاء الآيات، وجمع المواد العلمية المتعلقة بهذا الجانب، ثم استخدم المنهج التحليلي لتحليل الآيات السابقة، والكشف عن منهج الترجيح المتعلق بالسنة فيها، حيث تبين بعد ذلك أن من مناهج الترجيح بالسنة عند ابن كثير اعتماده على ما ورد عن رسول الله ثم اعتماده على السنة الصحيحة، ثم الترجيح بالحديث وإن كان فيه ضعفٌ شريطة أن تقويها أمورٌ أخرى كالشواهد والمتابعات، أو دلالة السياق القرآني.

الكلمات الرئيسية: منهج، الترجيح، السنة، ابن كثير، الجزء، الثلاثين.

المقدمة

يعتبر الترجيح بين أقوال المفسرين مذهباً من مذاهب المشتغلين بعلم التفسير منذ القدم، يحدث ذلك غالباً عند وجود الخلاف بينهم في بيان معنى الآية، فيعمدون إلى الترجيح بينها، ثم اختيار أحد الأقوال اعتماداً على بعض المرجحات المعتبرة، وقد أشار إلى ذلك الزركشي فقال: "وقال الشيخ شهاب الدين أبو شامة رحمه الله: قد أكثر المصنفون في القراءات والتفاسير من الترجيح بين قراءة ملك ومالك حتى إن بعضهم يبالغ إلى حدٍ يكاد يسقط وجه القراءة الأخرى، وليس هذا بمحمود بعد ثبوت القراءتين"[١]. فالترجيح إذاً يعدُّ وسيلةً مناسبةً لمحاولة استظهار القول الأقرب إلى الصواب. وممن اعتمد على هذه الطريقة في تفسيره الإمام الطبري، والقرطبي، وابن عطية، وابن كثير وغيرهم[٢].

ومن أعظم ما يتميز به تفسير ابن كثيرٍ قيامه غالباً بالترجيح بين أقوال المفسرين معتمداً في ذلك على عدة مرجحاتٍ، كالترجيح باللغة، أو بما اشتهر من أقوال المفسرين، أو بالنظر إلى سياق الآية، أو بقول الجمهور ونحو ذلك، وأهم هذه المرجحات اعتماده على ما جاء في السنة، وقد يكون له قصب السبق في هذا الجانب، وذلك بسبب تأثره بعلم الحديث، وبروزه فيه، وقد أشار إلى قريبٍ من هذا المعنى في مقدمة تفسيره فقال: "فإن قال قائل فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن فما أجمل في مكان فإنه قد بسط في موضع آخر فإن أعياك

---

[١] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: يوسف عبدالرحمن المرعشلي وآخرون، بيروت: دار المعرفة، ط١: ١٩٩٠م-١٤١٠هـ، ج١: ص٤٩١.

[٢] ناصر بن محمد بن صالح الصائغ، **الترجيح بالسنة عند المفسرين**، الرياض: دار التدمرية: ط١، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، ج١، ص٨.

ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له"[٣]. وهذا يدل على أن ترجيحه بالسنة عند ورود الخلاف بين المفسرين لم يكن هكذا دون درايةٍ وسبرٍ لأغوار المعاني.

ما يعني أهمية النظر إلى منهج الترجيح بالسنة الذي سار عليه ابن كثير في تفسيره، وذلك بهدف استنباط بعض القواعد العامة التي تساعد على فهم معنى الآية بشكلٍ صحيحٍ، واختيار الراجح من المعاني دائماً.

مفهوم منهج الترجيح بالسنة

المنهج في اللغة: أصله من كلمة نهج، وهو الطريق الواضح، ويطلق أيضاً على الطريق المستقيم[٤]. ومنه قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨] أي: طريقاً ومسلكاً واضحاً بيناً[٥].

وفي الاصطلاح: هو "الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم، بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة"[٦]

وأما الترجيح في اللغة: فهو من الراجح، أي: الوازن، ورجح الشيء بيده، وأرجح الميزان أي أثقله حتى مال. وأرجحت لفلان ورجحت ترجيحاً إذا أعطيته راجحاً"[٧]. وهو يشير إلى معنى الميل إلى طرفٍ دون الآخر.

---

[٣] إسماعيل بن كثير الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق واهتمام: عادل بن يوسف العزازي وآخرون، القاهرة: المكتبة الإسلامية، ط١: ٢٠١٧-١٤٣٨هـ م، ج١، ص١٢٥.

[٤] ابن منظور، **لسان العرب**، بيروت: دار صادر، د.ط: د.ت، ج٢، ص٣٨٢.

[٥] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٣، ص١٤٤.

[٦] عبدالرحمن بدوي، **مناهج البحث العلمي**، الكويت: وكالة المطبوعات، ط٣: ١٩٧٧م، ص٥.

[٧] ابن منظور، **لسان العرب**، ج٢، ص٤٤٥.

وفي الاصطلاح: المقصود به هنا اصطلاح المفسرين، ومعناه: "التغليب بالحجة لبعض الوجوه في التفسير على بعض عند الاختلاف الذي لا يمكن الجمع فيه بين الوجوه المتعددة"[٨]. وهو بهذا لا يخرج تقريباً عن المعنى اللغوي.

أما السنة في اللغة: فتعني الطريقة والسيرة المتبعة حسنةً كانت أو سيئةً[٩].

وفي الاصطلاح: اختلفت آراء العلماء حول معنى السنة، وذلك بحسب الفن الذي أرادوا البحث والكتابة فيه، ونحن هنا سنعتمد على اصطلاح المحدثين في بيان معنى السنة نظراً لارتباطها المباشر بمضمون البحث، وبهذا فإن السنة تعني كل: "ما أثر عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة، سواء كان قبل البعثة أو بعدها"[١٠].

وبناء عليه، يمكن القول إن المقصود بمنهج الترجيح بالسنة عند المفسرين: محاولة ترجيح أحد الأقوال التفسيرية عن طريق الاستفادة مما جاء في السنة النبوية من أقوال الرسول أو أفعاله أو مما أثر عنه، ويكون ذلك من خلال استنباط بعض القواعد التي ترجح إحدى المعاني على غيرها.

---

٨ أحمد سعد الخطيب، **مفاتيح التفسير**، الرياض: دار التدمرية، ط١: ٢٠١٠م-١٤٣١هـ، ج١، ص٢٦٨.

٩ جماعة من العلماء، **المعجم الوسيط**، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط٤: ٢٠٠٤م -١٤٢٥هـ، ص٦٥٤.

١٠ مصطفى السباعي، **السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي**، عمان: دار الوراق، ط٢: ٢٠٠٠م، ص٥٦.

منزلة السنة بالنسبة إلى علم التفسير

أخبر الله عن المهمة الرئيسية للرسول صلى الله عليه وسلم وهي أنه مبينٌ ومفسرٌ لما جاء في القرآن الكريم، فقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾]النحل:٤٤[يقول الإمام الشافعي:"جميع ما تقوله الأمة شرح للسنة وجميع السنة شرح للقرآن"[١١]. وبهذا الاعتبار تكون السنة المصدر الثاني من مصادر بيان معاني القرآن الكريم التي ذكرها العلماء، فلا يمكن أن يتم فهم القرآن بدون الرجوع إلى أقوال الرسول أو أفعاله وتقريراته[١٢].

وقد ذكر العلماء أن أحوال السنة بالنسبة إلى القرآن تدور على ثلاثة جوانب:[١٣]

الأولى، بيان مجمل ما جاء في القرآن: وتتعلق بشرح العبادات كالصلاة والحج والزكاة ونحو ذلك، والكشف عن كيفية أدائها على وجه التفصيل. الثاني، بيان أحكام زائدة على ما جاء في القرآن: كتحريم أكل لحوم الحمر الأهلية، والقضاء وأحوال الشهود ونحو ذلك. الثالث، بيان معنى لفظ في القرآن، أو ما يتعلق به: ومنه رفع إشكال ما وقع لبعض الصحابة من التباسٍ في فهم بعض معاني الآيات، كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا

---

[١١] جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، د.ط: د.ت، ج٥، ص١٩٠٦.

[١٢] أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية، **مقدمة في أصول التفسير**، تحقيق: محمد صبحي بن حسن حلاق، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط١: ٢٠١٠م-١٤٣١هـ، ص٩٥.

[١٣] محمد عبدالعظيم الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، بيروت: دار الكتاب العربي، ط١: ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، ج٢، ص٥٢.

إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢] فبيَّن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن المقصود به هنا هو الشرك، وليس ما فهموه هم من ظاهر الآية.

تعريف موجز بالإمام ابن كثير وحياته العلمية

هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو القرشي البصروي، الدمشقي، أبو الفداء عماد الدين: مؤرخ ومفسر ومحدث، شافعي المذهب، ومن فقهاء الشافعية أيضاً، ولد بقرية شرقي بصرى الشام سنة ٧٠١هـ، قدم مع أخيه إلى دمشق سنة ٧٠٦هـ، ثم بها نشأ وتعلم، وانتهت إليه رياسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير، وقد توفي بدمشق سنة ٧٧٤هـ وهو مكفوف البصر[١٤].

أما حياة ابن كثير العلمية فقد كان لأسرته أثرٌ كبيرٌ في توجيهه التوجيه العلمي الصحيح، حيث كان والده عالماً وخطيباً، وإخوته ممن يشتغلون بالعلم، أما أخوه عبدالوهاب فقد كان من الأساتذة الذين أخذ عنهم ابن كثير الشيء الكثير، بالإضافة إلى تتلمذه على يد علماء أجلاَّء، منهم ابن عساكر، والآمدي، والذهبي، والحافظ المزي، وابن تيمية وغيرهم، وقد تأثر بابن تيمية كثيراً، وظهر أثر هذا في مقدمة تفسيره، والتي اشتملت على بعض الآراء التي ذهب إليها ابن تيمية في كتابه مقدمة أصول التفسير، وفي الجملة فقد كان لطلب ابن كثير العلم على يد هذه الكوكبة من العلماء أعظم الأثر على تفسيره، حتى قال عنه بعض طلابه: كان أحفظ الناس لمتون الحديث، وأعرفهم بجرحها ورجالها، وصحيحها وسقيمها[١٥].

---

[١٤] محمد حسين الذهبي، **التفسير والمفسرون**، الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، د.ط: ٢٠١٠م-١٤٣١هـ، ج١، ص٤٤٢.

[١٥] محمد حسين الذهبي، **التفسير والمفسرون** ج١، ص٢٤٤.

ومما يدل على سعة علم ابن كثير مؤلفاته التي كتبها في شتى العلوم والفنون، منها البداية والنهاية في علم التاريخ، ثم كتابه في التفسير الذي يطلق عليه اليوم تفسير القرآن العظيم، وكذلك كتابه طبقات الشافعية، بالإضافة إلى كتبه في علم الحديث، ومنها كتاباً في جمع المسانيد العشرة، ثم تهذيب الكمال، ثم تلخيصه لبعض كتب العلماء الكبار، منها اختصار علوم الحديث لابن الصلاح، وغيرها من الكتب الأخرى[١٦]. وقد ظهر آثار إتقانه لهذه العلوم وخاصةً علم الحديث على كتابه التفسير بشكلٍ واضحٍ وجليٍ.

تعريف موجز بتفسير ابن كثير

يعتبر تفسير ابن كثير من التفاسير التي سار فيها المؤلف على طريقة التفسير بالمأثور، حيث ذكر ذلك في مقدمة تفسيره، فأشار إلى أنه سيسلك فيه مسلك الاعتماد على تفسير القرآن بالقرآن، فإن لم يظهر له فيه شيءٌ، فسيبحث عن معنى الآية في السنة النبوية، فإن لم يظهر له منه شيء أيضاً، فسينظر بعد ذلك إلى اجتهاد الصحابة وهذا ما اصطلح عليه العلماء بعد ذلك بمصطلح التفسير بالمأثور[١٧].

ومن خلال النظر إلى مقدمة تفسير ابن كثير يمكن القول إن المنهج الذي سار عليه ينحصر في المباحث الرئيسية التالية:

أولا، الاعتماد في التفسير أولاً على ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الصحابة والتابعون أجمعين. ثانيا، عدم الاعتماد على الروايات الإسرائيلية إلا على ما صح منها، وما وافق الشريعة فقط. ثالثا، عدم

---

١٦ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي، **طبقات المفسرين**، تحقيق: لجنة من العلماء، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١: ١٩٨٣م-١٤٠٣هـ، ج١، ص١١٢.

١٧ ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج١، ص١٢٥.

الخوض في التفسير بالرأي إلا إن كان عن علمٍ ودرايةٍ. رابعا، ذكر الحديث بسنده، مع الحكم عليه إن اقتضت الحاجة إلى ذلك. خامسا، الترجيح بأحد المرجحات المعتبرة، كالسنة، واللغة، وبما اشتهر من الأقوال وغير ذلك[١٨].

هذه هي أهم المباحث التي ذكرها ابن كثير في مقدمته، والتي تتعلق بالمنهج الذي سار عليه في تفسيره كاملاً، وقد تكون هناك مباحث أخرى تتعلق بهذا الأمر، إلا أننا حاولنا النظر إلى مقدمته فقط، لأنها غالباً تحتوي على زبدة أفكار المفسر وتوجهاته من خلال التفسير.

الترجيح بالسنة عند ابن كثير

نظراً لتوسع علم التفسير بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم إضافةً إلى ما حَوَته كتب التفاسير على كثيرٍ من الأقوال المتعددة والمتباينة حول معاني الآيات، بحيث لا تسلم أحياناً من وجود ضعفٍ، أو اختلاف تنوعٍ وتضادٍ في المعنى المراد من الآية، فقد سعى كثيرٌ من العلماء إلى البحث عن منهجٍ يعين على الترجيح بين أقوال المفسرين، ويمكن أن نوجز السبب الداعي إلى الترجيح بين هذه الأقوال بأنها ترجع إلى حالين: أولا، وجود اختلاف تضاد في معنى الآية: فهنا يعمل بالترجيح بهدف الوصول إلى المعنى الصحيح. ثانيا، وجود اختلاف تنوع في معنى الآية: وهنا يعمل بالترجيح بغية الوصل إلى المعنى الأقرب إلى الصواب.[١٩]

ومنهج ابن كثير في مسألة الترجيح بالسنة يقوم على الجانبين السابقين، فإما أن يكون القول من قبيل اختلاف التضاد فيرجح حينها

---

[١٨] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج١، ص١٣٢-١٢٣.

[١٩] مساعد بن سليمان الطيار، **فصول في أصول التفسير**،) الرياض: دار ابن الجوزي، ط٣: ١٤٣٨هـ، ص١٢٦.

القول الصحيح، أو أن يكون القول من قبيل اختلاف التنوع فيرجح عندها القول الأقرب إلى الصواب، وهو في هذا يعتمد على السنة الصحيحة، وبما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو الحديث الذي يكون شاملاً لجميع أقوال المفسرين، أما إن كانت السنة فيها ضعفٌ، فيقبل الترجيح بها أيضاً شريطة أن يكون لها جوانب أخرى تقويها، كالشواهد والمتابعات، أو أن دلالة السياق القرآني تشهد لها ونحو ذلك، وطريقته بأن يقوم أولاً بسرد الأقوال التي تشير إلى وجود خلافٍ في المسألة، ثم يقوم بعد ذلك بالترجيح بينها إما باللفظ الصريح كأن يقول مثلاً والصحيح كذا وكذا، أو أن يقوم بالترجيح من غير اللفظ الصريح كقوله مثلاً هو كما قاله ونحو ذلك، مع إبراز الطريقة التي قام عليها بالترجيح في المسألة.

نماذج مختارة على الترجيح بالسنة عند ابن كثير من خلال الجزء الثلاثين في القرآن

المثال الأول: في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾ [النبأ: ١٤] أورد ابن كثير عدة أقوال في معنى ثجاجاً، وملخص هذه الأقوال، أن الثج معناه: مُنصباً: وهذا المعنى قاله قتادة، ومجاهد، والربيع بن أنس. متتابعاً: وهذا المعنى قاله الثوري. كثيراً: وهذا ما ذكره ابن زيد. الصب المتتابع: وهو رواية عن الطبري.[٢٠]

وبعد أن ذكر ابن كثير جميع الأقوال السابقة، قال: «وفي حديث المستحاضة حين قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنعت لك الكرسف -يعني: أن تحتشي بالقطن-: قالت: يا رسول الله، هو أكثر من ذلك، إنما أثُج ثجاً. وهذا فيه دلالة على استعمال الثج في الصب المتتابع الكثير، والله

[٢٠] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٧، ص٤٥١.

أعلم"[٢١].

يظهر من خلال ترجيح ابن كثير بالسنة هنا أنه يميل إلى اختيار الحديث الذي كان جامعاً لجميع الأقوال السابقة، وهي الصب، والمتتابع، والكثير، فالبيان النبوي في معنى الآية، والذي يكون جامعاً لجميع المعاني، فإنه يعدُّ كافياً للترجيح به على غيره من الأقوال، فلا حاجة للنظر إلى اجتهادات الآخرين، يؤكد هذا ابن تيمية فيقول: "ومما ينبغي أن يعلم أن القرآن والحديث إذا عرف تفسيره من جهة النبي لم يحتج في ذلك إلى أقوال أهل اللغة"[٢٢].

فيكون من منهج الترجيح بالسنة عند ابن كثير أنه يقدم أولاً ما ورد عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم في معنى الآية، وخاصةً إذا كان ظاهر الحديث شاملاً لجميع أقوال المفسرين الأخرى، بحيث أنه يتضمن كل الأقوال التفسيرية.

مع أهمية التفريق هنا بين البيان النبوي الذي يكون نصاً في تفسير آيةٍ بعينها، وبين التفسير النبوي الذي يكون من قبيل البيان، أو المثال فقط، فقد ينقل عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم أقوالاً في معنى آية معينةٍ، إلا أنها جاءت في سياقات مواضيع أخرى، فلم يحدد بأن هذا هو معناها في هذه الآية تحديداً، فقد يكون كلامه في موطن غير موطن التفسير، فالأول إذاً يعتبر نصاً صريحاً في معنى الآية، بينما الثاني يعد من قبيل اجتهاد المفسر،

---

[٢١] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٧، ص١٥٤، والحديث أخرجه **أبو داود في سننه** بإسناد ضعيف، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، بيروت: دار الرسالة العالمية، ط١: ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، ج١، ص٢٠٩، رقم٢٨٧.

[٢٢] أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، **مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية**، جمع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه، الرياض: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، د.ط: ٢٠٠٤م-١٤٢٥هـ، ج٣١، ص٢٧.

لأنه هو من يقوم بربط الآية بالنص النبوي، فقد يصيب ويخطأ، وقد يختلف المفسرون أيضاً في هذا الجانب بحسب ما لديهم من ملكة الاجتهاد والتدبر والنظر.

المثال الثاني: في قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾ [الانشقاق:١٦] ذكر ابن كثير في تفسير معنى الشفق عدة أقوال، وملخصها أن الشفق معناه: الحمرة: وهي رواية عن علي، وابن عباس، وعبادة بن الصامت، وأبو هريرة، وشداد ابن الأوس، وابن عمر، وغيرهم كثير. البياض: وهذه رواية عن أبي هريرة. حمرة الأفق قبل طلوع الشمس: وهذا قول مجاهد. حمرة الأفق بعد غروب الشمس: وهو قول معروف عند أهل اللغة، وقريب من هذا الرأي ما قاله الخليل، والجوهري، وعكرمة. النهار كله: وهي رواية عن مجاهد. الشمس: وهذه رواية عن مجاهد أيضاً.[٢٣]

وبعد أن سرد جميع الأقوال السابقة، عقب عليها وقال: "وفي صحيح مسلم عن عبدالله ابن عمرو، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: وقت المغرب ما لم يغب الشفق". ففي هذا كله دليل على أن الشفق هو كما قاله الجوهري والخليل"[٢٤].

يظهر من طريقة اختيار ابن كثير للترجيح في هذه المسألة تقديمه لما جاء في السنة الصحيحة على غيرها من أقوال المفسرين، فعند تعدد الروايات ينظر إلى ما جاء في الصحيحين أولاً، بحيث يجعلها المعتمد عند الترجيح، وخاصةً إن كان يعضدها جوانب أخرى كالدلالة اللغوية، أو أقوال أئمة اللغة

---

٢٣ ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٧، ص٥١٣.

٢٤ ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٧، ص٥١٤. والحديث أخرجه مسلم، **صحيح مسلم**، تحقيق: ياسر حسن وآخرون، بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون، ط٢: ٢٠١٦م-١٤٣٧هـ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ص٢٧١، رقم١٣٨٨.

العربية.

فيكون من منهج الترجيح بالسنة عند ابن كثير: تقديم السنة الصحيحة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والموافقة للدلالة اللغوية، أو أقوال بعض أئمة اللغة العربية، فهي أولى في التقديم من غيرها من الأدلة الأخرى.

المثال الثالث: في قوله تعالى: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر:٢] ذكر ابن كثيرٍ عدة أقوالٍ لمعنى الآية، ومنها: عشر ذي الحجة: وهو قول ابن عباس، وابن الزبير، ومجاهد، وغير واحد من السلف والخلف. العشر الأول من محرم: وهو منقول عن الطبري في تفسيره، دون أن ينسبه لأحد. العشر الأول من رمضان: وهو قول آخر منقول عن ابن عباس رواه عنه أبو كدينة، عن قابوس بن أبي ظبيان، عن أبيه، عن ابن عباس.[٢٥]

وبعد أن نقل ابن كثير جميع هذه الأقوال، قام بترجيح القول الأول فقال: "والصحيح القول الأول؛ قال الإمام أحمد: حدثنا زيد بن الحباب، حدثنا عياش بن عقبة، حدثني خير بن نعيم، عن أبي الزبير، عن جابر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن العشر عشر الأضحى، والوتر يوم عرفة، والشفع يوم النحر"[٢٦].

يظهر لنا أن ابن كثير جعل سبب اختياره لهذا الرأي بناءً على كثرة الرواة لهذا الحديث، ما يعني كثرة الشواهد والمتابعات. والمقصود بها كما ذكر ابن كثير: أن يروي حماد بن سلمة، عن أيوب، عن محمد بن سيرين، عن

---

[٢٥] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٧، ص٥٤٩.

[٢٦] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٧، ص٥٥٠. والحديث أخرجه ابن حنبل بإسناد لا بأس به، أحمد بن حنبل، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١: ١٩٩٨م-١٤١٩هـ، مسند جابر بن عبدالله، ج٢٢، ص٣٨٩، رقم١٤٥١١.

أبي هريرة حديثاً، فإن رواه غير حمادٍ، عن أيوب، أو غير أيوب، عن محمد –أو غير محمد– عن أبي هريرة، أو غير أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم فهذه متابعات. فإن روي معناه من طريق آخر، عن صحابي آخر سمي شاهداً لمعناه[٢٧].

فمع أن الحديث الذي اعتمد عليه في الترجيح قد ضعفه بعض العلماء، إلا أن هناك ثمة أحاديث أُخرى تشير إلى نفس المعنى الذي ذهب إليه ابن عباس –وهو الذي رجحه ابن كثير– وهي صحيحةٌ عند المحققين المتأخرين، منها ما رواه ابن حبان في صحيحه حيث قال: "عن جابر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من أيام أفضل عند الله من أيام عشر ذي الحجة، قال: فقال رجل يا رسول الله هن أفضل أم عدتهن جهاداً في سبيل الله؟ قال: هن أفضل من عدتهن جهادا في سبيل الله"[٢٨].

وحتى يؤكد ابن كثير دور الشواهد والمتابعات في الترجيح بالسنة قال: "ورواه النسائي عن محمد بن رافع وعبدة بن عبد الله، كل منهما عن زيد بن الحباب به، ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم، من حديث زيد بن الحباب به، وهذا إسناد رجاله لا بأس بهم، وعندي أن المتن في رفعه نكارة، والله أعلم"[٢٩].

فيكون هنا من منهج الترجيح بالسنة عند ابن كثير: قبوله الترجيح بالحديث وإن كان فيه ضعفٌ، شريطة أن تتعدد طرقه، وأن تكثر فيه الشواهد

---

٢٧ أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، **اختصار علوم الحديث**، تحقيق: ماهر ياسين الفحل، الرياض: دار الميمان للنشر والتوزيع، ط١: ٢٠١٣م–١٤٣٤هـ، ص٧٦١.

٢٨ محمد بن حبان بن أحمد بن حبان البستي، **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢: ١٩٩٣م–١٤١٤هـ، كتاب الحج، باب الوقوف بعرفة والمزدلفة والدفع منهما، ج٩، ص١٦٤، قال المحقق: حديث صحيح.

٢٩ ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٧، ٥٥٠.

والمتابعات، فيكون المعنى المعتمد عليه راجحاً على غيره من اجتهادات الرجال، وقد أكد على هذا ابن تيمية فقال: "وما أحسن قول الإمام أحمد: ضعيف الحديث خير من الرأي!"[٣٠].

المثال الرابع: في قوله تعالى: ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ [الفجر:٨] ذكر ابن كثير عدة أقوالٍ في معنى الآية، وهي: القوة والعظمة: وهذا الوصف في هذه الآية متعلقٌ بالآية التي قبلها، وهي قوله تعالى: ﴿**إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ**﴾ [الفجر:٧] أي بمعنى: أن هذه القبيلة التي لم يخلق مثلها في البلاد، وذلك لشدة قوتها وبأسها، وعظم تركيبها، وهذا قول قتادة، وابن جرير. الطول والارتفاع: والوصف في هذه الآية متعلقٌ أيضاً بالآية التي قبلها، وهي قوله تعالى: ﴿**إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ**﴾ [الفجر:٧] إلا أنه ليس عائداً على القبيلة، بل على العماد لطولها وارتفاعها، فيكون المعنى إذاً: العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد لطولها وارتفاعها، وهو قول ابن زيد.[٣١]

وبعد أن نقل ابن كثير أقوال المفسرين في معنى الآية، قال بعدها معلقاً على القول الأول: "وهذا القول هو الصواب. وقول ابن زيد ومن ذهب مذهبه ضعيف؛ لأنه لو كان أراد ذلك لقال: التي لم يعمل مثلها في البلاد، وإنما قال: ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾"[٣٢].

وطريقة ابن كثيرٍ في الترجيح هنا أنه اعتمد على ما جاء في السنة من قرينةٍ تدل على أنه المعنى المراد، والقرينة هنا دلالة السياق القرآني، ولهذا

---

٣٠ ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج١٨، ص٥٢.

٣١ ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٧، ٥٥٥.

٣٢ ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، والحديث فيه ضعف، أخرجه ابن أبي حاتم، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: أسعد محمد الطيب، الرياض: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، ١٩٩٧م -١٤١٧هـ-، ج١٠، ص٣٤٢٦، رقم١٩٦٠٢.

قال: "وقول ابن جرير يحتمل أن يكون المراد بقوله: ﴿إرم﴾ قبيلة أو بلدة كانت عاد تسكنها فلذلك لم تصرف فيه نظر، لأن المراد من السياق إنما هو الإخبار عن القبيلة"[٣٣].

فيكون من منهج الترجيح بالسنة عند ابن كثير: وجود مرجحٍ آخر في الحديث كدلالة السياق القرآني، باعتبارها داخلة ضمن تفسير القرآن بالقرآن أيضاً.

المثال الخامس: في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر:٢] ذكر ابن كثير في معنى زيارة المقابر عدة أقوال، وحاصلها عائدٌ إلى قولين، وهو أن المقصود به: الانتقال من الحياة إلى الموت، أو من الدنيا إلى الآخرة. منزل الإنسان إما إلى جنةٍ أو إلى نار، وهذا النقل عن ابن أبي حاتم.[٣٤]

وبعد أن ذكر القولين السابقين، قال: "والصحيح أن المراد بقوله: ﴿زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾، أي: صرتم إليها ودفنتم فيها، كما جاء في الصحيح: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على رجل من الأعراب يعوده، فقال: لا بأس، طهور إن شاء الله. فقال: قلت: طهور؟! بل هي حمى تفور، على شيخ كبير، تزيره القبور! قال: فنعم إذا"[٣٥].

---

٣٣ ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٧، ص٥٥٧.

٣٤ ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٧، ص٦٤٦.

٣٥ ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، والحديث أخرجه البخاري، **صحيح البخاري**، بيروت: دار طوق النجاة، ط١: ١٣٢٢هـ، باب ما يقال للمريض وما يجيب، ج٤، ص٢٠٢. وهناك حديثٌ آخر نقله ابن كثير أيضاً يشير صراحةً إلى وقوع الموت بالأعرابي، ما يعني وجود قرينة واضحةٍ ترجح ما ذهب إليه من أن المقصود بزيارة المقابر هي الموت، والحديث هو ما رواه مخلد بن عقبة ابن شرحبيل، عن جده شرحبيل. قال: "كنا جلوسا عند النبي ابن كثير، تفسير القرآن العظيم إذ جاءه أعرابي طويل ينتفض. قال: يا رسول الله شيخ كبير به حمى تفور تزيره القبور. فقال رسول الله ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: "شيخ كبير به

في هذه المسألة رجح ابن كثير القول الأول الذي يشير إلى الموت، وذلك بناءً على طريقته المعهودة في الترجيح بالحديث الصحيح، والحديث هنا أصله في صحيح البخاري، فيكون الترجيح بالسنة عند ابن كثير الترجيح بالسنة الصحيحة دائماً فهي أولى من الأخذ بغيرها من أقوال المفسرين وغيرهم.

المثال السادس: في قوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر:٢]ذكر ابن كثير لمعنى الآية عدة أقوال، وهي: نحر البدن: وهو قول ابن عباس، وعطاء، ومجاهد، وعكرمة، والحسن، وقتادة، والضحاك، ومحمد بن كعب القرظي، وغيرهم من السلف. وضع اليد اليمنى على اليسرى تحت النحر: رواية عن علي، ولا تصح، والشعبي. رفع اليدين عند افتتاح الصلاة: وهي رواية عند أبو جعفر الباقر. استقبال القبلة عند النحر:وهذه رواية عند الطبري. رفع اليدين مع كل تكبيرةٍ في الصلاة: وهي رواية عند ابن أبي حاتم.[٣٦]

وبعد أن أورد ابن كثير هذه الأقوال، عقَّب عليها قائلاً: "كل هذه الأقوال غريبة جداً، والصحيح القول الأول، أن المراد بالنحر ذبح المناسك؛ ولهذا كان رسول الله يصلي العيد ثم ينحر نسكه ويقول: من صلى صلاتنا، ونسك نسكنا، فقد أصاب النسك. ومن نسك قبل الصلاة فلا نسك له"[٣٧].

يظهر أن ابن كثير يعتمد كثيراً عند سرد أقوال المفسرين على ذكر القول الراجح أولاً، ثم يتعرض بعد ذلك للأقوال الأخرى، فيكتفي بمجرد

حمى تفور هي له كفارة وطهور"، فأعادها عليه النبي ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ثلاث مرات، أو أربعاً، فقال: "أما إذ أبيت فهي كما تقول وما قضى الله كائن" قال: فما أمسى من الغد إلا ميتاً". ابن كثير، جامع المسانيد والسُّنَن، تحقيق: عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، الرياض: دار خضر، ط٢، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٨م، ج٤، ص٢٢٥.

٣٦ انظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٧، ص٦٧٩.

٣٧ ابن كثري، تفسري القرآن العظيم، ج٧، ص٦٧٩.

ذكرها غالباً، أو يذكرها أحياناً مع بيان ضعف الدليل الذي استند عليها القائل، فمثلاً قام بتضعيف الدليل المذكور عند ابن أبي حاتم، وقال عنه منكرٌ جداً[٣٨]. ثم قام بعد ذلك بالترجيح بين الأقوال اعتماداً على حديث فيه قرينةٌ تشير إلى أنه المعنى المراد، والقرينة هي تشابه الموضوعين في الآية والسنة، مع ملاحظة أن الربط بين الآية، وبين السنة إنما كان من قبيل اجتهاد المفسر، وهو محل إعمال العقل والنظر، فيكون من منهج الترجيح بالسنة عند ابن كثير الترجيح بناءً على تشابه الموضوعين في القرآن والسنة، حتى وإن لم يكن الحديث نصاً مباشراً في معنى الآية.

الخاتمة

توصل البحث إلى النتائج التالية: اختلاف المفسرين في بيان معاني الآيات لا يقف حائلاً أمام معرفة المعنى الصحيح أو الراجح منها، وهنا تظهر مدى أهمية معرفة منهج الترجيح عند المفسرين، لأنها الوسيلة المثلى للوصول إلى المعنى الراجح في الآية، أو المعنى الأقرب إلى الصواب.

العلماء ومن لهم أثر فعالٌ على طالب العلم هم في الحقيقة من يصنعون فكره العلمي، وتوجهه بعد ذلك، ومن خلال البحث السابق وجدنا أثر علماء الحديث على ابن كثير في تفسيره، فقد كان يقوم بالتعليق على أسانيد الروايات التي ينقلها تصحيحاً وتضعيفاً، ويقوم أيضاً بالترجيح بين معاني الآيات اعتماداً على ما جاء في السنة.

تميز ابن كثير في تفسيره بميزة الترجيح بالسنة عند وجود الخلاف بين المفسرين، فكان يرجح أحياناً بالحديث الصحيح الوارد عن رسول الله صلي

[٣٨] انظر: ابن كثري، تفسري القرآن العظيم، ج٧، ص٦٨٠.

الله عليه وسلم، وأحياناً يرجح بالحديث الذي يتشابه موضوعه مع موضوع النص القرآني، وأحياناً يقوم بالترجيح بالحديث الضعيف شرط أن يكون فيه أمر يعضده ويقويه، كالشواهد والمتابعات، أو دلالة السياق القرآني، ونحو ذلك.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران التميمي الرازي. **تفسير القرآن العظيم**، الطبعة الأولى. الرياض: مكتبة نزار مصطفى الباز. ١٤١٧هـ-١٩٩٧م

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني. **مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية**، الرياض: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام. **مقدمة في أصول التفسير**، الطبعة الأولى. الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان البستي، **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، الطبعة الثانية. بيروت: مؤسسة الرسالة. ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

ابن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، الطبعة الأولى. بيروت: مؤسسة الرسالة. ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي. **اختصار علوم الحديث**، الطبعة الأولى. الرياض: دار الميمان للنشر والتوزيع. ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

ابن كثير، إسماعيل بن كثير الدمشقي. **تفسير القرآن العظيم**، الطبعة الأولى. القاهرة: المكتبة الإسلامية. ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م.

ـــــــ، إسماعيل بن كثير. **جامع المسانيد والسُّنَن**، الطبعة الثانية. الرياض: دار خضر. ١٤١٢هـ/ ١٩٩٨م.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأفريقي. **لسان العرب**، بيروت: دار صادر.

أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني. **سنن أبي داود**، الطبعة الأولى. بيروت: دار الرسالة العالمية. ٢٠٠٩م-١٤٣٠هـ.

البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري. **صحيح البخاري**، الطبعة الأولى. بيروت: دار طوق النجاة. ١٤٢٢هـ.

بدوي، عبدالرحمن، **مناهج البحث العلمي**، الطبعة الثالثة. الكويت: وكالة المطبوعات. ١٩٧٧م.

جماعة من العلماء، **المعجم الوسيط**، الطبعة الرابعة. القاهرة: مكتبة الشروق الدولية. ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

الخطيب، أحمد سعد، **مفاتيح التفسير**، الطبعة الأولى. الرياض: دار التدمرية. ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

الداوودي، شمس الدين محمد بن علي بن أحمد. **طبقات المفسرين**، الطبعة

الأولى. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

الذهبي، محمد حسين. **التفسير والمفسرون**، الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد. ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

الزرقاني، محمد عبدالعظيم. **مناهل العرفان في علوم القرآن**، الطبعة الأولى. بيروت: دار الكتاب العربي. ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله. **البرهان في علوم القرآن**، الطبعة الأولى. بيروت: دار المعرفة. ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

السباعي، مصطفى، **السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي**، الطبعة الثانية. عمان: دار الوراق. ٢٠٠٠م.

السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر. **الإتقان في علوم القرآن**، الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

الصائغ، ناصر بن محمد بن صالح. **الترجيح بالسنة عند المفسرين**، الطبعة الأولى. الرياض: دار التدمرية. ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

الطيار، مساعد بن سليمان، **فصول في أصول التفسير**، الطبعة الثالثة. الرياض: دار ابن الجوزي. ١٤٣٨هـ.

مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. **صحيح مسلم**، الطبعة الثانية. بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون. ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م.